حصـار نابليـون لعـكا
دراسة تاريخية

مدرس طالب عبد الغني جار الله
جامعة كركوك / كلية التربية للعلوم الانسانية

تاريخ استلام البحث :٢٨ / ١٠ / ٢٠١٤ تاريخ نشر البحث :٣١ / ١٢ / ٢٠١٤

الملخص

كانت هناك عدة اعتبارات دفعت السلطات الفرنسية لشن حملتها نحو الشرق , منها سياسية وإستراتيجية واقتصادية ، باعتبار أن موقع مصر الجغرافي الذي يربط القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوربا, يعد ممراً تجارياً بين الشرق والغرب , فضلا عن رغبتها في السيطرة على طرق المواصلات للامبرطورية البريطانية ومنافستها للدول في التوسع الاستعماري ومحاولاتها تلك كانت جزء من السيطرة على الهند.

اندفعت الحملة ١٧٩٨م نحو مصر، ومن ثم الى بلاد الشام وهناك كسرت شوكة نابليون الذي لم يستطيع عبورها، من هنا جاء عنوان البحث الموسوم (حصار نابليون لعكا) والتي استبسل اهالي المدينة بكل قوة في الدفاع عنها تحت قيادة زعيمها احمد باشا الجزار، وبقي نابليون يحاصر المدينة اكثر من شهرين ولكن دون جدوى مما دفع نابليون الى التراجع والانسحاب منها .

قسم البحث الى خمسة محاور تناول في الاول دوافع الحملة نحو الشرق ومنها ضرب المصالح البريطانية في طريقها الى الهند, وفي الثاني استعدادات السلطة الفرنسية لتجهيز حملة ضخمة مهمتها صعبة لأنها سوف تبحر بشكل سري من الاسطول البريطاني , فكان عليها لزام الحذر . وفي المحور الثالث كيف استطاعت الحملة الفرنسية من احتلال مصر والدخول الى القاهرة . اما المحور الرابع فتطرق الى سير الحملة نحو بلاد الشام وكيف كانت استعدادات الفرنسيين للحملة ، والاهداف من وراء توجهها نحو الشام . أما

المحور الاخير فعالج استعدادات مدينة عكا للوقوف بوجه زحف الجيوش الفرنسية وكيف أنها استبسلت بقيادة زعيمها , ورد الفرنسيين على اعقابهم .

اعتمد البحث على مصادر مهمة أغنت الموضوع بشكل واضح منها كتاب عبد الرحمن الجبرتي (تاريخ عجائب الاثار في التراجم والاخبار)، فقد عاصر الحملة الفرنسية على مصر, وكذلك كتاب نقولا الترك (حملة نابليون إلى الشرق , من مخطوطه نقولا الترك) من المصادر التي لا غنى عنها في البحث ، وقد كتب عرضاً وافياً لوقائع الحملة ، وهناك كتب اخرى استفت منها في البحث منها كتب عربية واخرى اجنبية وكذلك كان للمجلات والموسوعات نصيب في البحث .

دوافع الحملة الفرنسية على الشرق

تعود فكرة ارسال حملات عسكرية الى مصر الى زمن بعيد ، يرجع الى زمن الحروب الصليبية*، وكان أبرزها تلك الحملة التي قادها لويس التاسع ملك فرنسا وكانت نتيجتها انتصار الملك الصالح وابنه نوراتستاه واندحار الجيش الفرنسي عن بكرة ابيه واسر لويس التاسع سنة ١٢٥٠م [١] .

ترددت فكرة احتلال مصر في الاوساط الفرنسية مراراً في القرن الثامن عشر لاسباب كثيرة, منها رغبة فرنسا في ان تجعل من البحر المتوسط بحيرة فرنسية تسيطر من خلاله على شواطئه وتضرب بذلك الاسطول الانكليزي في الشرق الادنى [٢]، كما كانت رغبة نابليون الاول (بونابرت)(١٧٦٩- ١٨٢١م) [٣]، مندفعة نحو اقامة دولة شرقية تصبح قاعدة قوية لغزوا الهند .

تطلعت فرنسا الى مصر بالذات لمكانتها الجغرافية والاقتصادية في المشرق العربي, اما مكانتها الجغرافية فلأنها قلب المنطقة العربية ومفتاحها الاستراتيجي، كما انها تعتبر اهم قاعدة لضرب النفوذ الانكليزي في الهند [٤]، ولأنها تصل البحر المتوسط بالبحر الاحمر بواسطة منطقة السويس, ومركز مصر يشكل عاملاً اساسياً في ميزان الحروب [٥]، اما الدوافع الاقتصادية للحملة الفرنسية على مصر كون الاخيرة سوقاً واسعاً لتسويق وتصريف الفائض من الزيادة الهائلة من الانتاج التي حققتها الثورة الصناعية[*]، فضلاً عن أنها ملتقى تجارات القارات الثلاث آسيا وأوربا وأفريقيا [٦] .

ومن اسباب غزو مصر ان الحكومة في فرنس، كانت قد عهدت الى نابليون بقيادة حملة لغزو عدوتها التقليدية بريطانيا ، ألانه رأى في ذلك صعوبة كبرى ، أن مثل هذه الحملة ستكبد فرنسا خسائر كبيرة دون تحقيق نتائج مرضية [٧] . فلذلك اقترح ضرب بريطانيا بطريقة غير مباشرة ، من خلال حملة الى مصر لضرب الاسطول البريطاني والتخفيف من الاهمية البحرية التي يتمتع بها [٨] .

وهناك اسباب اخرى خاصة بهذه الحملة على مصر وهي رغبة الحكومة الفرنسية بابعاد نابليون من فرنسا لان شعبيته اخذت تتزايد بعد غزوة لايطاليا [*]، ورأى ان الوقت لم يحن لاقامة حكم أوتوقراطي في فرنسا ولهذا وجه نشاطه نحو الشرق لانه رأى فيه ميداناً يستطيع ان ينال فيه عزاً وفخراً عظيماً [٩] .

وفضلاً عن تلك الاسباب كانت هناك دوافع اخرى تتعلق بمصر نفسها, فإن احوال مصر الداخلية كانت تسير نحو الارتباك والتعقيد والاضطراب ، نتيجة تعسف الحكام المماليك وكثرة مظالمهم ونهبهم الاموال، وخاصة تجاوزاتهم على التجار الأوربيين, عندما اخذت فرنسا تحث سفارتها في استانبول لرفع شكاوى الى السلطان العثماني وطلبوا منه وقف تلك التجاوزات [١٠] ، كما ارادت فرنسا ان تنتقم من المماليك الذين ارادوا التقرب من البريطانيين ضد الفرنسيين [١١] .

استعدادات الحملة

استطاع نابليون اقناع الحكومة الفرنسية للقيام بغزو مصر من خلال الحجج التي ساقها للحكومة، وكان لانتصاره في ايطاليا اثر في الاخذ برأيه في احتلال مصر، وعلى اثرها قررت الحكومة في ٥ آذار ١٧٩٨م تنفيذ الحملة وسارت الحملة بسرية حتى لا يتسرب خبرها للحكومة البريطانية [١٢] .

وفي الساعة السادسة من صباح ١٩ أيار ١٧٩٨م , سار نابليون بونابرت مع جيشه المؤلف من حوالي ٥٥٠٠٠ ألف جندي على متن قرابة ٤٠٠ سفيه منها الكبيرة والصغيرة [١٣] ، والتحق بالاسطول عدد كبير من العلماء والفنيين الذي يبلغ عددهم حوالي ١٢٢ عالماً من مينائي طولون ومرسيليا الواقعان جنوب فرنسا [١٤]، واثناء سير الحملة استطاع احتلال جزيرة مالطا [*] في ١٠ حزيران بعد ان انتصر على فرسان القديس يوحنا [١٥] .

اتخذ نابليون من جزيرة مالطا قاعدة له في الطريق بين مصر وفرنسا ، وكذلك اطلق سراح الاسرى المسلمين في الجزيرة الذين بلغ عددهم (٢٠٠٠) مسلم , وقام تاليران بإبلاغ السفير العثماني في باريس بهذا الامر دليلاً على استمرار علاقات الصداقة بين البلدين [١٦] .

اخذ نابليون فترة استراحة في جزيرة مالطا بضعة ايام ، وقام خلالها بتزويد اسطوله بالمؤن ، ثم غادرها في ١٩ حزيران تاركاً فيها حامية من الجنود للدفاع عن الجزيرة ، عندها ادرك الجنود ان هدف الحملة هو مصر [١٧] ، وكان نابليون قد اخفى عن جنوده سير الحملة ولم يزودهم باقل التدريبات او التعليمات حيث انهم كانوا يجهلون عملية النزول من السفن وبالحركات الحربية المتصلة بها وبحرب الصحراء المرتقبة [١٨] .

دخول الحملة مصر

وصل نابليون بونابرت بحملته الى مصر ونزل جنوب غرب الاسكندرية في تموز ١٧٩٨م واستولى على المدينة وترك حامية فيها بقيادة كليبر [١٩] ، ثم سار بجيشه فاستولى على الرحمانية في ١٠ تموز ، ثم استعد منها لملاقاة جيش مراد بك الذي بلغه انه انطلق من القاهرة [٢٠] ، وبعدها اصبح الطريق الى القاهرة مفتوحاً، فكان الجيش الفرنسي يتقدمون على جناح السرعة باتجاهها [٢١] ، كان المماليك يعتقدون بأن الفرنسيين قادمون من البرين (الغربي – والشرقي) وخرج جند المماليك الذين كانوا على البر الغربي وتقدموا الى ناحية بشتيل (بلدة مجاور لا مبابه) فتلاقوا مع مقدمة الفرنسيين الذين تمكنون من هزيمة المماليك وفر الباقي منهم , وتبعهم القائد ديزيه مع جنده البالغ عددهم (٦٠٠٠) جندي الى القاهرة [٢٢] .

بعد ذلك امر نابليون جنوده بمواصلة الهجوم على القاهرة فبدأ بتوزيع جيشه على شكل مربعات ووضع المدافع عند كل زاوية من زوايا المربع وكانت فرقتا الجنرال بون, والجنرال فيال, في الجبهة اليسرى وفرقتا الجنرال ديزيه, والجنرال دينيه, في الجبهة اليمنى ووضع في القلب الجنرال دوجا, وكان نابليون بالقرب منه يصدر الأوامر ويضع الخطط ويراقب الاحداث [٢٣] .

وقام المماليك بتقسيم جيشهم في امبابه (قرية تقع شمال الجيزة على شاطيء الغربي للنيل) واخذت قوات مراد بك موقعها على الشاطيء الغربي للنيل من يستيل, حتى

الاهرام . وفي منطقة بـولاق (حـي يقـع شمـال غرب القـاهرة) عسـكـر ابراهيـم بك علـى الشاطـئ الشرقي للنيل [٢٤].

وعند اسبابه القريبة من القاهرة تلاقى الجيشان الفرنسي والمملوكي في ٢١ تموز ١٧٩٨م وبعد معارك ضارية بين الجانبين تمكنت الجيوش الفرنسية من الانتصار على المماليك، وذلك لان الجيش الفرنسي يمتلك المدفعية الحديثة عكس الجيش المملوكي الذي يتكون من المشاة والخيالة [٢٥] ، وعلى الرغم من هزيمة المماليك في المعركة فأنهم لم يتركوا الفرنسيين يستولون على مصر بسهولة وإنما استمروا في مقاومتهم مقاومة عنيفة ، فبدأوا في الهجمات الاستشهادية وتكبدوا في كل هجمة خسائر فادحة [٢٦] .

بعد ان استسلمت القاهرة دخلها الجنرال دييوي ثم دخلها نابليون في ١٤ تموز ١٧٩٨م ، واكد على انه صديق المصريين والسلطان العثماني وانه جاء ليخلص المصريين من ظلم المماليك [٢٧] .

لم تدم فرحة الفرنسيون بالنصر طويلآ, فقد استطاع القائد البريطاني نلسون [*] ان يعثر على الاسطول الفرنسي في ابي قير (مدينة مطلة على خليج ابي قير وتقع على مسافة ٢٣ كيلو متر شرق الاسكندرية) [٢٨] .

بدأ الاسطول البريطاني بقيادة نلسون بالهجوم على الاسطول الفرنسي في (١ آب ١٧٩٨م) بقيادة الاميرال بروبر , واستطاع ابادة الاسطول الفرنسي وقتل قائدة مسجلاً بذلك تفوقاً بحرياً في البحر المتوسط [٢٩] ، وبذلك قطع الاتصال بين نابليون في مصر وفرنسا [٣٠] ، وكانت خسائر الفرنسيين في تلك المعركة مقتل اميرال واحد وثلاثة ربانين و (١٧٠٠) بحاراً وجرح اميرال واحد وستة ربانيين و (١٥٠٠) بحاراً ، اما الخسائر البريطانية فقد بلغت (٢١٨) قتيلاً و (٦٧٧) جريحاً [٣١] .

الحملة الفرنسية نحو بلاد الشام ١٧٩٩م

حاول نابليون بعد هزيمته في معركة أبي قير البحرية وانقطاع الاتصال مع فرنسا، اقامة علاقات جيدة مع حكام الشام والبانيا, فقد كتب الى ولاة دمشق وعكا والبانيا عبد الله باشا العظم واحمد باشا [*] وعلي بتلن يعلمهم ان السبب المباشر لمجيء الفرنسيين الى مصر رغبتهم في معاقبته للمماليك الذين امتنعوا عن طاعة السلطان , واقامة علاقات ودية مع الباب العالي لكسب ود الحكام الى الجانب الفرنسي الا ان تلك

المحاولات باءت بالفشل [٣٢] . بعدها فكر في اعداد قوة عسكرية لاحتلال بلاد الشام , وقد دفعه الى ذلك دوافع كثيرة بعضها اقتصادية , فقد رأى أنها تشكل مصدر مهم لرفع لاعانه الجيش الفرنسي المحاصر, خصوصاً ان فرنسا كانت تستورد من سوريا الاقمشة ومن بيروت الحرير ومن صيدا الحرير وخيوط القطن ومن صور التبغ والحنطة ومن عكا القطن والصوف والحرير وغيرها [٣٣] ، وقد حاول الفرنسيون ارسال موفديهم الى الشرق لإعادة النفوذ الفرنسي الى بلاد فارس (ايران) عن طريق الخليج العربي ومحاولة عقد تحالف عثماني – فارسي لمواجهة روسيا مما دفع الفرنسيون والبريطانيون للوصول الى مسقط والخليج العربي [٣٤] .

اعد نابليون جيشاً بلغ تعداده ١٣٠٠٠ جندي في حملته الى الشام وابقى القاهرة تحت قيادة الجنرال دوجا وقيادة الصعيد الى الجنرال ديزيه , واخذ معهُ بعض المشايخ من القاهرة ليستعين بمركزهم الديني [٣٥] . واصطحب معه المترجمين وأرباب الحرف كالتجارين والحدادين [٣٦] . سار نابليون مع جيشه من القاهرة الى بلاد الشام فوصل الى العريش (مدينة تقع على الحدود بين مصر وفلسطين) فحاصرها بعد ان امتنعت عليه [٣٧] . وبعدها استطاع الفرنسيون من احتلال المدينة ودخولها ، وقد قدر عدد الجنود الذين قتلوا من حامية العريش ما بين (٤٠٠-٥٠٠) جندي وتم اسر (٩٠٠) جندي ثم افرج عنهم, اما خسائر الفرنسيين ، فقد بلغت ثلاثة جنود [٣٨] .

وبعدها توجه نحو خان يونس (قلعة صغيرة وتعد اول نقطة على طريق الشام) ثم دخلها نابليون دون قتال [٣٩] . ومن ثم تقدم بعدها الى غزة (مدينة تقع على شاطئ البحر المتوسط وتقع على مفترق الطرق المتجهة نحو مصر وبلاد الشام والجزيرة العربية) فاستولوا عليها دون قتال ، ووضعوا فيها حامية وديوان لتنظيم أمورهم [٤٠] .

توجه نابليون وجيشه الى يافا في ٣ آذار ١٧٩٩م وبعد هجوم عنيف استولى عليها ودخلها في ٧ آذار ١٧٩٩م واباح فيها السلب والنهب والتجأ جند الحامية الى البيوت ثم اخذوا اسرى حرب وسيقوا الى نابليون [٤١] . فلما رأهم تأثر وقال " ماذا يريدون ان افعل بهم , فهل عندي من الطعام والشراب ما يكفيهم , وهل عندي سفن تقلهم الى فرنسا او مصر ؟ فما هذا الأمر الذي فعلوه " [٤٢] .

وقع في يد نابليون (٤٠٠٠) اسير كان عليه البت في امرهم فعندما ناقش الأمر مع قادته وبحجة الافتقار الى الطعام, ارتكب نابليون ابشع جريمة سجلت في

تاريخـــه صفـــحه سوداء ، وذلك بالمجزرة الرهيبة التي نفذت بحق اولئك الجنود الذين اسرهم واصدر الحكم عليهم بالاعدام رمياً بالرصاص [٤٣] . وكان ينوي من ذلك ترهيب الناس والاستيلاء على سوريا دون مقاومة [٤٤] . وبعد احتلاله لمدينة يافا , امر بترميم حصونها وبعث الى الاسكندرية يأمر الاسطول المتبقي يأتيه الى يافا , وبعد يوم من المجزرة , تفشى مرض الطاعون في المدينة وضواحيها وفي نفس الوقت كتب نابليون الى جند بيت المقدس يحثهم الى الاستسلام فأجابوا " أنهم تابعون لولاية عكا وحالما تستسلم عكا يستسلمون أيضاً " [٤٥] . وهم بهذا الحال يربطون مصيرهم بحاكم عكا, وهذا دليل على انهم ضد مايريد نابليون.

استعدادات عكا

عندما وصل خبر قدوم الفرنسيين الى مصر، استعد احمد باشا والي عكا بأنشاء استحكامات على المدينة ، فكانت القلعة محصنة تحصيناً جيداً، وكان وضعه جيد لتسلمه الإمدادات من الجنود من استانبول ، وجمع المون والذخائر داخل المدينة تحسباً لأي طارئ [٤٦] , وقبل سير نابليون الى عكا قام بعمل شنيع هو قتل جميع الجرحى والمرضى من جنوده حتى لا يعوقوه في سيره الى مدينة عكا ومحاصرتها [٤٧] ، وبعدها سار نحو عكا عن طريق وعر فيه تعرجات, احتل برمجون (اول ارض قانون وحي حصن بفلسطين قرب الرحلة) وبدأ اهالي المدن المجاورة بارسال مندوبين اليه بطلب الأمان وسار الجنرال مينو وكليبر الى الناصرة (مدينة تقع على بعد ١٣ ميل جنوب غرب بحيريه طبرية) واصبح القائد الفرنسي جونت حاكماً على الناصرة ، لم يتوجه بجيشه نحو عكا [٤٨] . وقبل وصول نابليون عكا ، اتفق الانكليز بقيادة الاميرال سدني سميث [*] (١٧٦٤-١٨٤٠م) مع السلطان العثماني سليم الثالث (١٧٩٨-١٨٠٧م) على حماية عكا من البر والبحر [٤٩] ، وفي اثناء طريقه الى عكا فكان يقول لاحد ضباطه ((اذ استوليت على عكا، يصبح الشرق في قبضة يدي واذا بلغت سوريا، اشعلتها ثورة ضد الاتراك ، اما اذا وصلت القسطنطينية، فاني سأخلع السلطان العثماني واقيم دولة جديدة ، ومنها اصل الى النمسا فاسحقها)) [٥٠]. ويبدوا من ذلك ان نابليون كان يتطلع للاحتلال مناطق كبيرة وضمها تحت سيطرته.

بدأ نابليون هجومه على عكا في آذار ١٧٩٩م ، وكان الاسطول البريطاني يساند احمد باشا الجزار من البحر , وفرض نابليون حصاراً على المدينة , واستطاع ان يحتل عن طريق بعض قطعاته التي ارسلها الى المناطق المجاورة من عكا كلاً من صفد وصور وطبريا [٥١] .

اثر الجزار ان لا يترك فرصة تمر دون خلقهُ مصاعب للفرنسيين ، بأحضار الامدادات لكسب الوقت واشغال الفرنسيين في خارج عكا ، وارسل مندوبين عنه الى المدن الشامية الاخرى داعياً ابناءها للتطوع في القتال ضد الفرنسيين عن طريق تحريك المشاعر الدينية للمسلمين بأنهم كفرة ، واعلم السكان بالتحالف القائم بين البريطانيين والعثمانيين ودعاهم للتعاون مع سدني سميث [٥٢] ، وحاول نابليون كسب ود ومساعدة الامير بشير الشهابي الملقب بالكبير (١٧٨٨-١٨٤٠م) امير جبل لبنان ، الا أنه فشل في ذلك اذ وقف الامير بشير متردداً بين الانحياز للجزار او لنابليون الذي كان قد بعث اليه كذلك كتاباً يدعوه فيه لمؤازرتهُ لذلك فضل الامير بشير موقف حيادي ويبدو ان الامير كان يخشى قوة فرنسا مع خشية من انقلاب رعيته عليه فيما بعد ، فضلاً عن خوفه من عقوبة الدولة العثمانية، لذا حاول ان يتخذ موقف حيادي بشكل علني [٥٣] . غير انه قدم تسهيلات للقوات الفرنسية، فمنع الدروز من محاربة نابليون ، ورفض مساعدة الجزار ثم قام بحراسة القوافل التي تمر في اراضيه [٥٤] .

استنجد الجزار باهل نابلس الجبليين ذوي النزعة الحربية وبوالي حلب وفي اوائل نيسان ١٧٩٩م , وشى المخبرون المسيحيون الى بونابرت ان نحو (٧٠٠٠) مقاتل من منطقة نابلس قد تجمعوا في الجليل وان جيش والي دمشق يزحف صوبه [٥٥] .

شن جيش دمشق هجوماً على كليبر وفرقته المكونة من (١٥٠٠) جندي وبلغ جيش دمشق ٣٠ الف بين فارس ومشاة وانتهوا في مرجة بن عامر وحاصروا الجيش الفرنسي لولا وصول نابليون لمساعدة كليبر وحقق نصراً عليهم في معركة عرفت بمعركة جبل طابور في ١٦ نيسان ١٧٩٩م [٥٦] .

ومما زاد من صعوبة الجزار ان الفرنسيين استطاعوا من اسر سفينتين جاءنا من استانبول لمساعدة الجزار فوقعت بيد الفرنسيين محملة بالمدافع والذخائر ومبلغ من المال يقدر بحوالي ستة وثلاثون الف دينار مرسلة من السلطان العثماني ، وفي المقابل تمكن الاسطول البريطاني من اسر ثلاثة سفن فرنسية جاءت لمساعدة الفرنسيين في عكا [٥٧]

فكان نابليون على علم بالجماعات ومصادر النفوذ في الرأي العام [٥٨] ، وبعد ان اصطدم باسوار عكا لجأ الى دعوة يهود العالم لتأسيس وطن لهم في فلسطين , ورغبة منه ان ينظم اليهود تحت لوائه لتوطينهم في تلك المناطق الحيوية ، لذلك وجه نداءه لليهود لاعادة هيكل القدس ولعودة اليهود الى فلسطين ، وكانت تكمن وراء ذلك حاجات ومتطلبات الحرب القائمة ، وطموح نابليون اللاحق في اجتذاب ولاء اليهود [٥٩] ، وخاصة يهود فرنسا وايجاد حاجز مادي وبشري يفصل بين بلاد الشام ومصر، واستغلال ذلك في تسهيل ودعم الاحتلال الفرنسي ، فضلاً عن كسب تأييد حاييم فارمي (اليهودي الذي كان يتمتع بنفوذ مالي في عكا ويتولى مسؤولية تزويدها بالمواد الغذائية) [٦٠] . وقد بين نابليون من خلال خطابه في ٤ نيسان ١٧٩٩م " ان الأوان والظروف تبدو الاكثر ملائمة للمطالبة بحقوقكم ، وحتى التعبير عنها ، وفي حين يبدو من شأن طبيعتها ان تدفعكم للعدول عنها نهائياً ، فإن هذه الامة تقدم لكم في هذه الاونة بالذات ، وضد أي توقيع ميراث (اسرائيل) .. يا ورثة فلسطين الشرعيين " [٦١] . وبذلك كان خطاب نابليون الى اليهود بداية ظهورهم على مسرح الاحداث عندما قدموا تقريراً للحكومة الفرنسية خلاصتهُ أنهم مستعدون لوضع خبرائهم واموالهم تحت تصرف الفرنسيين مقابل منحهم فلسطين، ووعدوا الحكومة الفرنسية بأنهم سيكونون معاول هدم في جسم الدولة العثمانية [٦٢] .

وفي ٩ ايار ١٧٩٩م وصلت مساعدات بريطانية الى عكا , كذلك جاءت مساعدات من استانبول لنجدتها، عندئذ ازدادت المقاومة شراسة وقوة وكتب السر سدني سميث منشورات واعطى للمشايخ والامراء نسخ منها يدعوهم لمساندة السلطان العثماني وارسل الى الامراء النصارى ، كذلك صور منشورات يوضح فيها ان نابليون هدم اركان الديانة المسيحية ، وبذلك امتنع الامراء النصارى عن ايصال المواد الغذائية للفرنسيين فصار نابليون في حيرة من امره لا يدري ماذا يفعل [٦٣] ، ورأى نابليون ان اعداد جيشه بدأ يقل تدريجياً من جراء اشتداد مرض الطاعون الذي فتك بجيشه ، فضلاً عن نفاذ ما عند الفرنسيين من مدافع الحصار التي حاول جلبها من ميناء الاسكندرية غير ان الاميرال سميث نجح في الحصول عليها بينما كانت في طريقها الى عكا ، الى جانب اسهام الفرنسيين الموجودين داخل عكا في المساعدة للدفاع عن عكا [٦٤] .

استبسل اهالي عكا بالدفاع عن مدينتهم تحت قيادة زعيمها احمد الجزار الذي دام حصارها اكثر من شهرين [٦٥] ، ورد الفرنسيين على اعقابهم , فاضطر نابليون الى رفعه

والعودة الى مصر [٦٦] . وهكذا اخفق نابليون في احتلال عكا واحس بمرارة الهزيمة للمرة الاولى ، لقد حطمت عكا جبروت قاهر اوربا وانسحب من تبقى من جيشه بعد رفع الحصار وتشردوا في صحراء سيناء المحرقة وكان نابليون يتأوه قائلاً لاحد ضباطه لو فتحت عكا ابوابها لبدلت وجه العالم ، وجعلت التاريخ يسير حسب مشيئتي [٦٧] .

استمرت الحملة على الشام ٩٦ يوماً (٦٠) يوماً لحصار عكا ومن بين ١٣ ألف جندي فرنسي الى سورية عاد (٩٠٠٠) جندي الى مصر في ١٤ حزيران ١٧٩٩م [٦٨].

استقبلت اوربا بسرور هذه الخسارة الاولى لبونابرت فأرسل السلطان العثماني سليم الثالث هدية الى احمد باشا الجزار وهي اكليلاً من الذهب لصموده امام الفرنسيين ، ومنح نلسون الذي احرق الاسطول الفرنسي وساماً من الماس ولم يزج نابليون جيشه في حصار قلعة الى نهاية حياته [٦٩] .

وعقب انسحاب نابليون من عكا الى مصر التقى مع حملة عثمانية قادمة من رودس تتألف من ٨ ألف جندي بقيادة كوسه لي مصطفى باشا قائد الروملي , لكن نابليون هاجمها وانتصر عليها واسر قائدها مصطفى باشا في موقعة ابي قير البرية في اواخر تموز ١٧٩٩ م [٧٠] . ثم عاد نابليون الى فرنسا سراً بعد ان ترك مصر في ٢٢ آب ١٧٩٩م [٧١] .

الخاتمة

كان لحصار نابليون على عكا له بعض الحقائق والاستنتاجات.

١. تعود فكره احتلال فرنسا للشرق منذ زمن بعيد اذ بدأت منذ اواخر القرن الحادي عشر ميلادي .
٢. شرعت فرنسا الى احتلال المنطقة , مستغلة ضعف الدولة العثمانية وعجزها عن الدفاع عن ولاياتها، وان الحملة ليس موجه ضد السلطان العثماني , فهي موجهة ضد المماليك الذين يحكمون مصر لسؤ معاملتهم للتجار الفرنسيين وابتزازهم في الأموال .
٣. سعت فرنسا من وراء غزوها للمنطقة ضرب المصالح البريطانية التي تعد عدوتها التقليدية , ومن ثم تخفيف من الاهمية البحرية الذي يتمتع بها الاسطول البريطاني .

٤. مني الاسطول الفرنسي بهزيمة كبيرة على يد الاسطول البريطاني بقيادة نلسون في موقعة ابي قير البحرية مما اضعف الفرنسيين بشكل كبير، حيث قطع الاتصال بين الحملة وفرنسا .

٥. ارتكب نابليون مجزرة شنيعة في مدينة يافا اثناء زحفه الى بلاد الشام ، عدت وصمة عار في جبينه باعدام الالاف من الاسرى الذين وقعوا في قبضته في تلك المدينة ، وثبت خلالها زيف دعواه بنشر مبادئ الثورة الفرنسية التي كانت تدعو الى ضمان حقوق الانسان .

٦. كان للاسطول البريطاني دوراً في تقوية مقاومة اهالي عكا ،اذ ان الاسطول البريطاني الذي كان بقيادة سدني سميث ساند مدينة عكا من البحر وحصوله على غنائم من الفرنسيين ، من السفن الفرنسية المتجه نحو الشام .

٧. كان فشل نابليون في احتلاله عكا بداية النهاية للحملة الفرنسية ليس في الشام فقط وانما على مصر ، فبعد وقت قصير من عودته الى مصر غادرها سراً الى فرنسا بذريعة الاحداث التي استجدت في فرنسا وأوربا.

الهوامش :

(*) وهي سلسلة من الحروب التي قادها ملوك الافرنجة المسيحيون منذ سنة ١٠٩٨م على الشرق الغربي الاسلامي وتمكنت في اولى حملاتها من الاستلاء على مدينة انطاكيا في بلاد الشام، وثم استكمال وتأسيس الامارات الصليبية حوالي منذ عام ١١٠٠م وكان تواجدهم عرضه للتهديد من قبل القوى الاسلامية التي كانت قد اعلنت الجهاد، حسين احمد امين ، الحروب الصليبية في كتابات المؤرخين العرب المعاصرين لها ، (القاهرة : ١٩٨٣) , ص ص ٢٠٨-٢٠٩ .

(١) زاهية قدورة ، تاريخ العرب الحديث ، (بيروت : ١٩٧٥) ، ص٣٢٧ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام لحكم في مصر،ج١, ط٤،(د.م: ١٩٥٥)، ص٧٠

(٣) عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ الشعوب الاسلامية الاتراك العثمانيون الفرس مسلمو الهند، (بيروت : ١٩٧٣) ، ص٣٥٩ .

(٤) ذوقان قرقوط ، تطور الفكرة العربية في مصـــــــر ١٨٠٥- ١٩٣٦، (بيروت : ١٩٧٢) ، ص٨٨

(٥) ميشال سليمان ، القناة لمصر ، (د . م : د . ت) ، ص١٠ .

(*) وهي عبارة عن سلسلة من التغيرات التي حصلت في اوربا خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر والنصف الاول من القرن التاسع عشر التي استطاعت ان تحول وسائل الانتاج الصناعي من الالات اليدوية الى المكائن وهذا التغير شمل القطاع الزراعي والصناعي والمواصلات البرية والبحرية ووسائل التعدين وكان لها تأثير كبير في التنظيم الاقتصادي والمجتمع الاوربي ، وكانت بريطانيا السباقة في ذلك المجال ، محمد محمد صالح وآخرون ، تاريخ اوربا في القرن التاسع عشر، (بغداد : ١٩٨٥) ، ص ص ٥١-٥٢ .

(6) Ann Williams , Britain and Frane in the Middle East and North Afica , (London ; 1968) , p 30 ,

محمد بديع وآخرون، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ، (القاهرة : د. ت) ، ص٢٢ .

(*) في اعقاب ثورة ١٧٨٩م اقام الفرنسيين بعد ان تخلصوا من الحكم الرجعي والنظام الملكي اسسوا حكومة اطلقوا عليها حكومة الادارة لتصريف الامور وهي عبارة عن لجنة مؤلفة من خمسة اعضاء يسمى كل منهم مديراً منذ سنة ١٧٩٥. جرجي زيدان ، تاريج مصر الحديث ، ج٢ ، ط٤، (القاهرة : ١٩٢٥) ، ص٨٣ .

(7) David Thomson , Europe Since Napoleon , Secand Edition , (London ; 1962) . p 27 .

(٨) وليام لاتجر ، موسوعة تاريخ العالم ، ترجمة محمد مصـــطفى زيادة ، (القاهرة : ١٩٦٦) ، ص١٥٥٦ .

(*) في عام ١٧٩٦م قاد نابليون جيشه متوجهاً الى ايطاليا وكانت خطتهُ ضرب النمساويين وحليفتهم مملكة سردينياً في نقطة تلاقيهم، فانفرد بجيوش سردينيا وانزل بها هزيمة ساحقة اعقبها عقد صلح مع فرنسا وتنازلت بموجبه عن نيس وسافوى لفرنسا وبعدها احتل مقاطعة لمبارديا وميلانو ، واستسلمت له الدولة البابوية وتمكنت جيوش نابليون من احتلال جمهورية البندقية ،

Thomson . op , cit . p 26

(٩) السيد جون هامرتن ، تاريخ العالم , ترجمة ادارة الثقافة بوزارة التعلـــيم العالي بلندن ، م٧ ، (القاهرة : د . ت) ، ص٣١٦ .

(١٠) وليد نويهض ، النخبة ضد الاهل ، (بيروت : ١٩٩٤) ، ص١١ .

(11) Gream , Brintion , Aecabe of Revolution 1789 – 1799 (America : 1934) , p 229 .

(١٢) الرافعي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٧٦ .

(١٣) يلماز اوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمود سلمان ، مراجعة محمود الانصاري م١ ، (استانبول : ١٩٨٨) ، ص٦٤٩ .

(١٤) محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولـة العليـــة العثمانية ، تحقيق ، احسان حقي ، ط١٠ ، (بيروت : ٢٠٠٦) , ص٣٧٣ .

(*) تتكون جزيرة مالطا من جزيرتين هما مالطة وجوز في البحر المتوسط وتقعان بين ليبيا وجزيرة صقلية، وكان يحكمها فرسان مالطا الذين وقفوا بوجه العثمانيين لمدة طويلة ثم احتلها البريطانيون سنة ١٨٠٠م بموافقة المالطيين واصبحت منذ ذلك الوقت جزءاً من الامبراطورية البريطانية ، باوندز وكتجزيري , اطلس اوربا، ترجمة محمد فاتح عقيل ، (الاسكندرية : ١٩٦٨) ، ص١٨٩ .

(١٥) الياس طنوس الحويك ، تاريخ نابلـــــيون الاول ، ج١ ، (بيروت : ١٩٨١) ، ص١١ .
(١٦) اوزتونا ، المصدر السابق ، ص ص٦٤٩-٦٥٠ .
(١٧) عبد العزيز حافظ دنيا ، الشهيد محمد كريم حياته وبطولاته، (د. م : ١٩٦٥) ، ص٤٢.
(١٨) كرستوفر هير ولد ، بونابرت في مصر، ترجمة فؤاد اندراوس ، القاهرة : ١٩٦٢) ، ص٥١ .
(١٩) قدورة ، المصدر السابق ، ص٥١ .
(20) Genera Sir James Marshall Gorn Wall , Napoleon as Miliary Commander , (London ; 1967) , p 86 .
(٢١) فلاد يمير لو تسكي ، تاريخ الاقطار العربية الحديثة ، ترجمـة عفيفة البستاني ، (موسكو : ١٩٧١) ، ص٤٩ .
(٢٢) عبد الرحمن الجبرتي ، تاريخ عجائب الاثار في التراجم والاخبار ، ج٢ ، ط٢ ، (بيروت : ١٩٧٨) ، ص١٨٨ .
(٢٣) الرافعي ، المصدر السابق ، ص٤٩ .
(٢٤) الجبرتي، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٨٦ .
(25) Roland Oliver and Anthony , Africa Since 1800 , (London ; 1987) , p82
(٢٦) الجبرتي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٨٦ .
(٢٧) عمر الاسكندري وسليم حسن ، تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحاضر ، ط٤ ، (القاهرة : ١٩٢٠م) , ص١٠١ .
(*) ولد الاميرال ١٧٥٨م ودخل البحرية البريطانية وكان عمره اثنا عشر سنة وكان نشطاً في عمله حتى عين وكيل اميرال في سنة ١٧٩٧م وقد حاول الاستيلاء على جزيرة تتريف احدى جز الكناري التابعة لاسبانيا فلم ينجح وقتل في احدى المعارك سنة ١٨٠٥م ، المحامي ، المصدر السابق ، ص٣٧٤ .
(٢٨) اوزتونا ، المصدر السابق، ص٦٥٠ .
(29) Gomwall , op , cit , p . 82 .
(٣٠) الان بالمر ، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩-١٩٥٤، ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد امين ، ج١ ، (بغداد : ١٩٩٢)، ص١٤٤ .
(٣١) هيرولد ، المصدر السابق , ص١٧٠ .

(*) ولد احمد باشا في البوسنة الواقعة في غرب شبه جزيرة البلقان دخل البحرية العثمانية ، وبعد مشاجرة مع زملائه تركها ، ثم باع نفسه ليهودي تاجر رقيق ثم باعه الى علي بك الكبير في مصر وعينه جلاداً واظهر هنا التفنن ما اكسبه لقب (الجزار) ثم توجه الى الشام وبتقديمه خدمات لظاهر العمر كوفيء بتعينه حاكماً على صيدا ومن ثم حاكما على عكا ، فيليب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال اليازجي ، ج١، (بيروت : ١٩٥٩) ، ص ص ٣٣٧-٣٣٨ .

(٣٢) لوتسكي ، المصدر السابق ، ص٥٢ .

(٣٣) محمد نور الدين " الجزار والفرنسيون عام ١٧٨٩م ، مجلة تاريـــخ العرب والعالم ، بيروت ،ع نيسان ١٩٨٢ , ص ص٦٣-٦٤ .

(٣٤) مصطفى عبد القادر النجار وآخرون ، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، (د. م : د.ت) ، ص٢٢ .

(٣٥) زيدان ، المصدر السابق، ج٢ ، ص١٢٤ .

(٣٦) الجبرتي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٥٢ .

(٣٧) صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، (القاهرة : ١٩٦٥) ،ص٧٥ .

(٣٨) زيدان ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٢٥ .

(٣٩) نقولا الترك ، حملة نابليون الى الشرق ، تحقيق : امل بشور ، (لبنان : ١٩٩٣) ، ص١٤٧ .

(٤٠) هيرولد ، المصدر السابق ، ص٣٦٦ .

(٤١) مخطوطه نقولا الترك ، ص١٤٧ .

(٤٢) الحويك ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٣٠ .

(٤٣) قدورة ، المصدر السابق ، ص٣٣٥ .

(٤٤) اوزتونا ، المصدر السابق ، ص٦٥٠ .

(٤٥) زيدان ، المصدر السابق ،ج٢ ، ص١٢٦ .

(٤٦) اوزتونا ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

(٤٧) المحامي ، المصدر السابق ، ص٣٧٥ .

(٤٨) الترك ، المصدر السابق ، ص١٥٣ .

(*) ولد سنة ١٧٦٤م ودخل الحربية وكان في الثالثة عشر من عمـــره واصبح ملازماً ١٧٨٠م ، ثم انظم للاسطول البريطاني في طولون ولما اجبر البريطانيون على الانسحاب من طولون تطوع لاحراق السفن الفرنسية فاحرقها وقبض عليه وسجن في التامبل عامين وتمكن بعدها من الهرب وتوفي سنة ١٨٤٠ ، المحامي ، المصدر السابق ، ص٣٧٥ .

(٤٩) تيسير جبارة ، تاريخ فلسطين ، (عمان : ١٩٩٨) ، ص٣٨ .

(٥٠) شكيب ارسلان، تاريخ الدولة العثمانية ، تحقيق : حسن السماحي سويدان ، (بيروت : ٢٠٠١) ، ص٢٦ .

(٥١) زيدان، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٢٩ .

(٥٢) الترك ، المصدر السابق ، ص ص١٥٤-١٥٥ .

(٥٣) المسعودي " الدولة العثمانية في لبنان وسوريا حكم اربعة قرون ١٥١٧-١٩١٦ " ، مجلة الهلال ،(القاهرة)، ج١ , السنة الخامسة والعشرون ، م٢٥ ، ١٠ رجب سنة ١٣٣٥هـ، ايار سنة ١٩١٧م ، ص٦٤٩ .

(٥٤) انيس صايغ ، لبنان الطائفي ، (بيروت : ١٩٥٥)، ص ص٩٤-٩٥ .

(٥٥) هيرولد، المصدر السابق , ص٣٩ .

(٥٦) محمد كرد علي، خطط الشام ، ج٣ , ط٢ ، (بيروت : ١٩٦٩م) ، ص١٤ .

(٥٧) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٤ .

(٥٨) محمد عبد الرحمن حسن ، العرب واليهود في الماضي والحاضر والمستقبل، (الاسكندرية : ١٩٦٩) ، ص٦١ .

(٥٩) سمير عبد الرزاق قطب ، ريح وريحان ، (بيروت : ١٩٩٧) ، ص٩١ .

(٦٠) امين عبد الله محمود ، مشاريع الاستيطان منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب الاولى ، (الكويت : ١٩٨٣) ، ص ص١٣-١٤ .

(٦١) احمد صالح عبوش , موقف فرنسا من الصراع العربي الاسرائيلي١٩٤٨-١٩٧٣ ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى جامعة الموصل ، (الموصل : ٢٠٠٦) ، ص٨ .

(٦٢) داود عبد العفو سنقرط ، اليهود في المعسكر الغربي ، (عمان : ١٩٨٣) ، ص١٢٥ .

(٦٣) زيدان، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ص١٢٩-١٣٠ .

(٦٤) لوتسكي، المصدر السابق ، ص٥٣ .

(٦٥) فيليب حتي ، موجز تاريخ الشرق الادنى ، ترجمة انيس فريحة ، (بيروت : ١٩٦٥) ، ص٣٠١ .

(٦٦) باسم حطاب الطعمة " الموقف الرسمي العثماني من الاحتلال الفرنسي لمصر ١٧٩٨-١٨٠١ دراسة تحليلية في ضوء الوثائق العثمانية، مجلة دراسات تاريخية (بغداد) العددان ، ٣-٤ ، (بغداد ١٩٩٩)، ص٩٦ .

(٦٧) الترك ، المصدر السابق ، ص ص٦٤-٦٥ .

(٦٨) المصدر نفسه ، ص١٦٧ .

(٦٩) اوزتونا ، المصدر السابق ، ص٦٥١ .

(٧٠) علي سلطان ، تاريخ الدولة العثمانية ، (دمشق : ١٩٩١) ، ص٢٦٢ .

(٧١) الطعمة ، المصدر السابق ، ص٩٨ .

Abstract

Thene wane objectives that made the French nthoritie to Launch a Campaign to the East some to these objectives were politicos , others were economic because Egypt was a site that links the three continents ; Asia , Africa and Europe H was a commercial path between the East and the west .

The campaign set out to Egypt then to Syria there napoleon was defeated . he couldnot cross Syria . hence the title of this study stems '' Napoleons siege to akka '' .

The people in akka foughtso bravely unber the leabership of ahmed pasa aljaae thatnapoleon was forced to rotvea tbackr to Egypt The study is divided in to fire sections thw first section deals with the stimuli of the csmpain to the east . the secovd section deals with French prpations to fovm agraeat campaign and their mwasures to vid the british fleet.

The third section accounts for how the frensh could invade Egypt , the fection deals with the f rnch campaign against Syria and their preparatiovs for the campaign the last section accounts for the akkans attempts to face the French army

The study depends on important resoures that contribute a lal in enriching it one of these resourcesis al jaberti (19000) ; the history of ajaib al – akhbar in fil – tarajim wal akhbar there are other vesources that we made we of some of which are Arabic , others ore foreign other periodicals contributed a lot in thin respect .